

دراسة بلاغية للأمثال الشعبية الجزائرية في ضوء آلية المفارقة

-أمثال منطقة "توات" - أنموذجاً.

A rhetorical study of Algerian proverbs in light of the mechanism of paradox - Proverbs of the "Touat" region - as a model

د. نورة حاج قويدر

Dr: Noura Hadj Kiouder

1 جامعة الجزائر 2 (أبو القاسم سعد الله) الجزائر. noura.hadjkouider@univ-alger2.dz

تاريخ النشر: 2025/11/30

تاريخ القبول: 2025/11/09

تاريخ الاستلام: 2025/03/01

الملخص: يعكس المثل الفصيح عامة والمثل الشعبي بصفة خاصة صورة المجتمع والواقع، كما يعبر عن سلوكيات الأفراد المتناقضة، فيغدو هذا الأخير صدى لصوت الشعب في تعدده وتنوعه، فهو يحمل في جوهرة شحنة لغوية مكثفة ومركزة تعبر عن مواقف وتجارب إنسانية، هذه الأخيرة عادة ما تكون مظهراً للتضارب وتعبر عن مفارقات صارخة، وهذا ما يؤهل المثل ليشكل بؤرة لمفارقات عدة، وفي هذه الدراسة عمدنا إلى دراسة المثل الشعبي في منطقة توات من خلال آلية جوهريّة وهي المفارقة، منطلقين من الإشكالية الرئيسية: ما هي الآليات التي يستند عليها المثل الشعبي في إنتاج المفارقة؟ وما طبيعة هذه الآليات؟

كلمات مفتاحية: المفارقة، المثل الشعبي.

Abstract: The eloquent proverb in general and the popular proverb in particular reflect the image of society and reality. They express the contradictory behaviors of individuals, and the latter becomes an echo of the voice of the people in its multiplicity and diversity. They also carry in their essence an intense and concentrated linguistic charge that expresses human positions and experiences, the latter of which are usually a manifestation of conflict and express blatant paradoxes. This is what allows the proverb to become a focus of several paradoxes. In this study, we studied the popular proverb through an essential structure, which is the paradox, starting from the main problem: what are the mechanisms from which the popular proverb is based in producing the paradox? And what is the nature of those mechanisms? **Keywords:** Paradox, popular proverb.

المؤلف المرسل: نورة حاج قويدر، الإيميل: noura.hadjkouider@univ-alger2.dz

1. مقدمة:

يمثل الأدب الشعبي مخزوناً تراثياً مهماً، نظراً لما يحمله من زخم معرفي وحضاري لأي أمة من الأمم، حيث تأتي الأمثال الشعبية في طليعة هذا الإرث الثقافي، خصوصاً في ظل غياب استعمال الأداء الفصيح في اللسان العربي، فغذى هذا الأخير شكلاً من أشكال تعبيرات الناس في مجالسهم وأسماهم، في حلهم وترحالهم، فهم لا يتوانون في إرساله كلما سنحت لذلك فرصة، وهو الأمر الذي جعله يحتفظ بديمومته وحيويته عبر الأزمنة ويبقى راسخاً في الأذهان جيلاً بعد جيل، عاكساً عادات وتقاليد الأمم والمجتمعات ونظرتها إلى الأشياء وحكمها عليها. لذلك استحق أن يقال فيه المثل صوت الشعب.

من خلال هذا المقال سنحاول التعرف على نسق الأمثال الشعبية، من خلال الوقوف على الآلية التي يستخدمها هذا الأخير في بناء عباراته ونسجها على النحو الذي يثير الدهشة والاستغراب عند تلقيه، وقد وقع اختيارنا في هذه المسعى على مدونة جمعت أمثال إحدى مناطق الجنوب الجزائري، ويتعلق الأمر بالتحديد على منطقة "توات".

وتبعاً لذلك فقد انطلقنا من الإشكالية التالية: ما هي الآليات التي يستند عليها المثل الشعبي في إنتاج المفارقة؟ وما هي طبيعة تلك الآليات؟.

2. : مفهوم المثل:

1.2 المعنى اللغوي لكلمة (مثل):

جاء في لسان العرب: المثل : مثل: كلمة تسوية، يقال هذا مثله ومثله، كما يقال شبيهه وشبهه بمعنى .والمثل: الشبه يقال: مثل، ومثل وشبه وشبه بمعنى واحد ، قال ابن جني: وقوله عز وجل: "قورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون." (ابن منظور ، 2005، صفحة 339). ووفقاً لمعجم مفردات ألفاظ القرآن يعرف المثل بأنه عبارة عن قول شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، فإن هذا القول يشبه قولك: أهملت وقت الإمكان أمرك (الراغب الأصفهاني ، 1998، صفحة 202).

حيث تتفق المعاجم اللغوية في تعريف المثل على خاصية التشبيه، كما تركز معظم تعريفات النقاد القدماء على هذه النقطة. يوضح المبرد أن المثل مأخوذ من المِثال، وهو قول شائع يستخدم لتشبيه حالة الثاني بالأول، والأصل في ذلك هو التشبيه.

2.2 المفهوم الإصطلاحي للمثل:

تعرف الباحثة نبيلة إبراهيم المثل بأنه "قول قصير مشبع بالذكاء والحكمة، ولسنا نبالغ إذا قلنا إن كل مثل يصلح أن يكون موضوعاً لعمل أدبي كبير إذا استطاع الكاتب أن يتخذ من المثل بداية لعمله فيعكس تجربة المثل ويعبر عنها تعبيراً تحليلياً دقيقاً" (نبيلة إبراهيم، 2002، صفحة 144)، مما نلمسه في التعريف أنه حدد صفات المثل بكونه، مشعباً بالذكاء والحكمة وذلك يرجع إلى كون المثل عبارة عن تلخيص لتلك السلوكيات أو الحوادث التي تقع، فمسألة تطابق تلك العبارات مع ما يجري ينم عن ذكاء وفطنة صاحب المثل ومقدرته الفذة على التعبير واختيار الكلمات التي تتلاءم مع الموقف، أما الجزء الثاني من التعريف فهو يرجع إلى اعتبار المثل بؤرة مكثفة بالدلالات، من خلالها نستطيع استيعاء العديد من الأفكار والاستنتاجات تفصح للمبدع خلق عمل أدبي يتسع ويبلغ في حجمه أضعاف ذلك المثل. ويعتبر الدكتور التلي بن الشيخ أن "المثل الشعبي هو الأكثر قدرة بين الأنواع الأدبية على تجسيد العلاقات الاجتماعية، وأقربها إلى الصدق في التعبير عن التناقضات الحياتية المعقدة (سعيد حمزاوي، 2006، صفحة 225) ". فهذه التعريف يحيلنا على العلاقة الوثيقة التي تربط المثل بمفهوم المفارقة، فهو يعبر ويجسد تناقضات سلوكيات الأفراد، وهو الأمر الذي تتميز به المفارقة.

3. مفهوم المفارقة :

1.3 المعنى اللغوي لكلمة (مفارقة):

فيما يتعلق بالمعنى اللغوي لمصطلح "المفارقة"، نجد في بعض المعاجم أن المفارقة هي اسم مفعول من الفعل "فارق" المشتق من الجذر الثلاثي "فرق"، ومصدرها "فرق" بتسكين الراء. والفرق يعني خلاف الجمع، بينما الفرق يشير إلى الفلق من الشيء عند انفصاله، كما ورد في قوله تعالى: "فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم" (ابن منظور، 2005، صفحة 290). ووفقاً لمعجم الوسيط: (فَرَّقَ) بين شيئين -فرقاً، وفرقناً: فصل وميز أحدهما عن الآخر، و(فَرَّقَ) بين القوم: أحدث بينهم فُرْقَةً (مجمع اللغة العربية، 2002)

إننا نلاحظ من خلال ما ذكرته المعاجم أن معنى المفارقة في اللغة يؤكد على صفة الفرق والافتراق والتباعد والفصل والتمييز بين شيئين أو موقفين أو أمرين مختلفين تماماً، لاسيما إذا كان هذان الأمران على طرفي النقيض.

2.3 المفهوم الإصطلاحي للمفارقة:

تباين مفهوم المفارقة بين النقاد نظراً لتاريخ هذا المصطلح، مما يجعل تحديده بدقة أمراً معقداً. كما يشير الفيلسوف الألماني نيتشه إلى أن ما يفتقر إلى التاريخ يمكن تعريفه، بينما يصبح تعريف ما يمتلك تاريخاً طويلاً مسألة صعبة (ديسي ميويك ، 1993، صفحة 14)، وتوضح الباحثة نبيلة إبراهيم في دراستها "المفارقة" أن الإنسان أدرك جوهر المفارقة منذ خلقه، حيث بدأت مع قصة آدم وحواء في الجنة وهبوطهما منها، إذ مُنعا من تناول ثمار الشجرة رغم ما تبدو عليه من جمال وحلاوة، مما أسفر عن تشكل أول مفارقة في الخلط بين القبح والجمال. المفارقة الثانية تجلت في التناقض بين الخير والشر، حيث بدا للشيطان للحظة أنه ليس مرادفاً للشر عندما حاول مساعدتها في التحقق من حلاوة الثمرة، لكنهما سرعان ما أدركا أنه شر مطلق بعد خروجهما من الجنة (نبيلة إبراهيم، 1987، صفحة 131).

كما أن مفهوم المفارقة مفهوم حي تجاذبته مجالات مختلفة فالفيلسوف يرى فيه ذلك النموذج من نماذج الوعي، كما يرى فيه عالم الاجتماع، مظهراً من مظاهر العلاقات الاجتماعية التي تقوم على الاختلاف والتناقض، لتلك الأسباب نرى ذلك الاختلاف في المفاهيم، لكن ما نركز عليه الآن ونحن بصدد تعريف المفارقة هي المفاهيم التي تربط هذه الأخيرة بالأمثال من جهة وبين البلاغة من جهة أخرى. وعليه يمكننا وضع العنوان التالي:

4. مميزات المثل الشعبي: يتمتع المثل الشعبي بالعديد من الخصائص والمميزات نذكر منها:

1.4 التكثيف والاختصار اللغوي:

يعتبر مبدأ الإيجاز والاختصار اللغوي الشديد السمة الأساسية التي نواجهها في المثل، ومع ذلك فإنه يحمل العديد من الدلالات والإيحاءات، ومنه يمكن القول إن أهم خصائص المثل تتمثل في تشكيله البنائي، الأمر الذي يجعله مكتملاً بنائياً وبالضرورة يؤهله لكي يكون صالحاً لعمل إبداعي، فشدّة اختزال المثل جعل منه مادة خصبة لفتح آفاق عديدة للتأويل والانفاسح المجال لاستخراج معانٍ جديدة ودلالات مختلفة.

2.4 التناقض: يعتبر التناقض الميزة الأساسية في الأمثال، حيث يشكل نتيجة طبيعية لدور المثل

ووظيفته. فالمثل يمثل تعبيراً يومياً عن موقف في زمن معين قد يتغير مع مرور الوقت، ومع ذلك لا

يمنع ذلك من القول بأن الأمثال تعكس طبيعة العلاقات السلبية أو الإيجابية بشكل عام

كما يوجد تباين بين المستوى السطحي والمستوى العميق، وهو الأساس الذي يستند آلية المفارقة، فهي لا تقتصر على الغموض الذي يحيط بالقول، بل تتضمن أيضاً الإحساس الغريب الناتج عن احتوائها على عناصر متعارضة " (سيزا قاسم، 1982، صفحة 144).

3.4 الوظيفة الاصطلاحية:

ترتكز الأمثال الشعبية على الدور الإصلاحي في المجتمع حيث يحدث للمتلقى، عند سماعه مثلاً جذاباً أن يتأمل فيه جيداً قبل أن يوافق على معناه، لأن موافقته الشخصية التي ستحدث بينه وبين نفسه قد تؤدي إلى تعديل في سلوكه أو قناعاته، كما توفر آلية المفارقة في اعتمادهما على الخبرة والإدراك الوجودي لقضايا الكون، بما يتضمنه من تناقضات وأضداد نقل هذه التجربة في إطار مفارقي إلى الأجيال بهدف تعديل سلوكهم وتهذيب طباعهم.

5 المفارقة البيانية في الأمثال الشعبية:

1.5 الاستعارة: يستند المثل الشعبي في الكثير من الأحيان على الاستعارة، كأداة للتأثير في المتلقي وذلك عبر تفجيرها لدلالات متناقضة، فالفكرة الأولى التي نستشفها من المثل الشعبي : **النَّارُ شَبُعَتْ مِنْ لَحْطَبٍ**، أو **"إِبْلِيسُ يَنْهِي عَالَمُنْكَرَ"**، أنه استعار صفة تخص الإنسان وهي (الشبع)(الوعظ) وأسقطها على شيء مادي(النَّار) أو ذات متخيلة في ذهنية الفرد غير مرئي كشخصية (إبليس) فجاءت هذه الاستعارة الثانية على سبيل الاستعارة التصريحية، أما الفكرة الثانية والتي أحدث بدورها المفارقة والتناقض هي عندما يصطدم ذلك المفهوم مع السياق الطبيعي المعهود، فنحن لم نشهد أن النار تشبع من الحطب؛ بل العكس هو الصحيح، وكما لم يقر في الأذهان أن إبليس الذي هو رمز الضلال والشَّرُّ المطلق يكون سبباً للرشد والنصح...، فالمثلان يطلقان عندما تستنفذ كل الوسائل اللغوية للتعبير عن سلوكيات الفرد المتناقض بين الحقيقة الداخلية والمظهر الخارجي "لذلك يُضرب هذا المثل للشخص الذي يتصرف تصرفاً مخالفاً لما أُلِفَ عليه.

و المثل الشعبي يستمد قوته وتأثيره من الخبرة الإنسانية، الأمر الذي يحمله على استخدام آلية الاستعارة لأنها تقوم على اختزال وتلخيص تلك التجربة الإنسانية في تعبير مجازي يضمن لها الانتقال السليم والفعّال في ذهن المتلقي، فنجد في المثل الشعبي التالي: **لُكَلَامُ الرِّينِ اِيْخْلُصُ الدِّينِ**، يتم استدعاء مظهر مجازي من خلال تشبيه الكلام الطيب بالمال، مما يحدث مفارقة حيث يصبح الدين، الذي يتطلب شيئاً مادياً "المال"، قابلاً للسداد عبر شيء معنوي يتمثل في الكلام الجميل. وبالتالي، يتم استدعاء فضاء مخالف تماماً للطبيعة المعهودة في المعاملات الإنسانية، لتوضيح دور الكلمة الطيبة وتأثيرها في العلاقات الاجتماعية.

ويحدث الربط الاستعاري عنصر المفاجأة عبر تجسيد عالم خيالي يكسر الروابط الطبيعية لصالح أخرى مجازية، كما يتجلى في المثل الشعبي: **اللَّيْلُ بَوْدِيَّاتُو وَالنَّهَارُ بَعْوِيَّاتُو**، فالليل والنهار دالتين زمنيتين، حيث يمثل الليل فترة الراحة والنوم في ظلامه، مما يؤدي إلى انخفاض الحركة، بينما يعكس النهار الضوء والحركة

والنشاط. إن ربط هاتين الوجدتين الزمنيّتين (الليل والنهار) بوجدتين إنسانيتين (بوديناتو - بعويناتو) يثير التناقض ويخلق صدمة لدى المتلقي.

2.5 الكناية:

يقول إبراهيم النظام: "يجتمع في المثل أربعة عناصر لا تجتمع في غيره من الكلام، وهي إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو قمة البلاغة... فتُعرّف الكناية بأنها "التعبير عن المعنى تلميحاً دون تصريح، وإفصاحاً عند الحاجة" (الميداني، 1955، صفحة 06). تُعتبر الكناية جوهر المثل، حيث تربطها به علاقة عضوية فقد يلجأ صاحب إلى الإقتصاد في الكلام، فيعتمد على التكتيف والإختزال اللغوي، و يعجز عن التعبير عن شيء بشكل صريح ومباشر، لغايات في نفسه، وبالتالي يلجأ استخدام إلى الكناية والإشارة.

كما تساهم الكناية كأداة لغوية بلاغية في تشكيل النص وتوسيع دلالاته، فغالباً ما يعتمد المبدع الشعبي على عنصر التلميح، مما يجعله يميل إلى المراوغة في حديثه تأكيداً للحكمة القائلة: اللبيب من الإشارة يفهم. لذا نجد أنهم يفضلون الشخص الفطن الذي يستوعب المعاني حتى وإن كانت رموزاً.

وفيما يتعلق بمعرض الكناية في المدونة المعتمدة "أمثال شعبية بمنطقة توات"، تتواجد العديد من الأمثلة، لكن التركيز في هذه الدراسة ينصب على النماذج التي تتضمن المفارقة، حيث يتجلى التناقض بين المعنى الأول غير المقصود والمعنى الثاني المقصود. فالأمثال الشعبية في هذه المدونة المتاحة تعكس هذه السمة بوضوح، مثل: **اللّي شافو ايقول غير تحطّوا عالجز بيرا**، حيث يظهر التناقض الشديد بين المعنى السطحي الذي يوحي بثقة الشخص، والمعنى المقصود الذي يتعارض تماماً مع الأول، مما يبرز عنصر المفارقة. يُستخدم هذا المثل لتحذير الأفراد من الانخداع بالمظاهر الخارجية للآخرين، حتى في ما يتعلق بأعر الناس لديهم.

كما يثير انتباهنا مثل آخر يعكس التناقضات التي نشهدها في الواقع، ومثاله: **إيديها ظالم وإيخلصها عالم**، فالمثل هنا يضرب عندما تتداخل الأمور وتقلب الموازين، فيصبح الحق باطلاً، والباطل حقاً، فتتضارب النتائج مع المقدمات، ويصبح صاحب الفعل المشين في مأمن وسلامة، في حين يعيش البريء المظلوم في سخط وعذاب جراء ذلك الفعل الذي لم يرتكبه، فالمثل يلامس الواقع كثيراً ونعائين ما يبرره في زمننا الراهن؛ أما المثل التالي :

خَلَا لَبِيعِرْ وَنَقَّرَ فَالرَّحْوِيه، والرَّحْوِيه هي الناقّة الهزيلة المغلوبة على أمرها، فيجب أن لا نذهب إليها ونترك البعير القوي، ويضرب للذي لا يلتصق أصول الأشياء بل يذهب إلى فروعها.

توجد نماذج كنائية تتضمن تناقضات ومفارقات، ولكن عند التدقيق في معناها، نجد أنها تعكس الصواب والحكمة. في المثلين: الموت بين عشرة نراهة / ولي تخاف منه اهرب إليه، حيث يظهر تناقضاً يستدعي الاستغراب؛ كيف يمكن أن يكون الموت نراهة؟ وكيف يهرب المرء إلى الشخص الذي يخاف منه؟ لكن عند تحليل الدلالة الخفية، يتضح أن المثل الأول يدعو إلى التكاتف في مواجهة المخاطر، حيث أن الموت مع عشرة أشخاص يعد فخراً أفضل من البقاء حياً بمفردك، أما المثل الثاني فيعكس تجربة التعامل مع المخاوف، إذ أن مواجهة ما نخشاه يساعدنا على فهم حقيقته، مما يقلل من خوفنا. في حين أن الهروب قد يؤدي إلى عواقب أسوأ من مواجهة

6/ المفارقة البديعية في الأمثال الشعبية:

1.6 الطباق والمقابلة: يظهر مصطلح (التضاد) أو (الطباق والمقابلة) في علوم البلاغة العربية كمبدأ أصيل في بنية التضاد المعجمي في المفارقة، حيث يحدث هذا التضاد بين لفظتين أو أكثر. إلا أن هذه البساطة لا تعني أنها مجرد حيلة بديعية يمكن الاستغناء عنها؛ بل إن لها دوراً بارزاً في بناء المثل وتلاحمه. من خلال الجدول التالي رصدنا مختلف النماذج التي تحتوي على طباق ومقابلة في المدونة:

نماذج الأمثال الشعبية بمنطقة توات	نوعها	الدلالة المفارقة البديعية
أَمْشَا لِلْحَجِّ وَمَا حَجٌّ	طباق سلب	عدم إتمام المهمة التي كُلف بها.
اعْجَلْ تَبْطَأْ	طباق إيجاب	السرعة في قضاء الحوائج تكون سبباً في إبطائها.
الْخَيْرُ أَمْرًا الشَّرُّ أَمْرًا	طباق إيجاب	المرأة قد تكون سبباً في سعادة بيتها وقد تكون أيضاً سبباً في تعاسته.
دِيرَهَا فِي	مقابلة	وفاء الرجال بوعودهم يقابله جحود النساء

فَالرَّجَالُ أَوْ ارْجَاهَا أَوْ دِيرْهَا فَالْتَسَا وَأَسَاها		ونكراهن.
دَخَلْنَاكُمْ خَرَجْتُونَا	طباق إيجاب	الإحسان للآخرين في مقابل الغدر والخداع من قبلهم.
دَهَنَّاكُمْ شَعَّتُونَا	طباق إيجاب	تقديم الاحترام للآخرين في مقابل قلة التقدير والإساءة من قبلهم.

من خلال النماذج التي تدل على التضاد نجد بأن أغلبها جاءت نتاج تجربة إنسانية في الواقع ، فالمثل في عمومها يُعد ردعاً لتلك السلوكات السلبية، ومحاولة إرساء دعائم من السلوكات الإيجابية، فالمثل الأول هو دعوة إلى تهيئة الظروف والوسائل لقضاء مهامنا على أكمل وجه ممكن، كما يدعونا المثل الثاني أيضاً إلى عدم التسرع لإتمام الأمور لأنها تؤدي بالضرورة إلى نسيان بعض الأشياء فيزيد ذلك في تأخير قضائها بدل تسريعها. تظهر النماذج التي تعكس التضاد أن معظمها نتاج تجربة إنسانية واقعية. يُعتبر المثل بشكل عام وسيلة لردع السلوكيات السلبية، ومحاولة لترسيخ السلوكيات الإيجابية. يدعو المثل الأول إلى تهيئة الظروف والوسائل لإنجاز المهام بأفضل شكل ممكن، بينما يحثنا المثل الثاني على تجنب التسرع في إتمام الأمور، حيث يؤدي ذلك إلى نسيان بعض التفاصيل، مما يزيد من تأخير إنجازها بدلاً من تسريعها.

يُحمل مبدع المثل الشعبي المتلقي مسؤولية اختياره، خاصة في السياق الأسري، حيث يُشير إلى أن الخير والشر متواجدان في المرأة، مما يستدعي حسن الاختيار، إذ يمكن أن تكون سبباً في سعادة المنزل بفضائلها أو شقائه بمساوئها. أما المثل الرابع فيسلط الضوء على السلوكيات الإيجابية لدى الرجال، الذين يلتزمون بوعودهم، مقابل السلوكيات السلبية لدى النساء، اللاتي يُظهرن نكراناً وجحوداً. نستنتج أن مبدع هذا المثل الشعبي ينتمي إلى فئة الرجال، إذ لا يمكن أن يصدر مثل هذا عن النساء، إلا في حالات استثنائية تتطلب الاعتراف بذلك. بينما يعبر المثلين الآخرين عن واقع ملموس يختبره الجميع، وهو تلقي الإساءة وقلة الاحترام من أشخاص كنت مصدراً للإحسان والخير لهم، كما قال الشاعر معن بن أوس المزني: (الوافر)

فَلَمَّا اشْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي

أَعْلَمُهُ الرِّمَایَةَ كُلَّ یَوْمٍ

فَلَمَّا قَالَ قَافِیةً هِجَانِي (معن بن أوس المزني ، 1977، صفحة 72)

وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي

2.6 الجنس والسجع:

تتميز الفنون البديعية، ولا سيما اللفظية، بخصائص صوتية تمكنها من إحداث مفارقة، حيث يظهر التناقض كصفة جوهرية في هذه البنية، مما يولد إيقاعاً خاصاً يرافق المفارقة.

تستعرض المدونة العديد من الأمثال التي تحمل دلالات متناقضة، مما يخلق مفارقة موسيقية عبر الجنس. في المثال التالي: كَثَلُونِي بِالْجُوعِ وَسَمَّأُونِي مُجُوعٌ، فهنا يظهر الجنس الناقص بين كلمتي "جوع" و"مجوع". كما يتجلى التناقض في المستوى الدلالي حيث إن المتحدث بالرغم من عدم قدرته على تحصيل الطعام، يُلقب بالمجوع، وهو مصطلح يرتبط بالوجع الناتج عن الإفراط في الطعام. وهناك مثال آخر في نفس السياق هو: كَيْ شُبْعٍ صَالِحٍ قَالَ مَالِحٌ، حيث يضرب هذا المثل للإنسان عندما ينتهي من استعمال غرض معين، ثم يظهر للآخرين أنه غير صالح مما يثير دهشة الآخرين من تصرفه.

يظهر مثال آخر وهو: قَدُّو قَدْ الْفُؤْلَةَ وَحَسُّو حَسَّ الْفُؤْلَةَ، حيث يتجلى الجنس الناقص بين كلمتي (الفولة والغولة). كما يحقق المثل تناقضاً بين المظهر، من خلال تصرفات الشخص، سواء في حركاته أو أصواته التي تشير إلى ضخامة بنيته الجسدية، وبين المخبر الذي يصور جسماً ضئيلاً هزياً. يُستخدم المثل للشخص الذي يفاجئنا بأفعال تتجاوز قوته الجسدية والعقلية.

ومن خلال هذه النماذج، يمكننا القول إن الجنس في الأمثال الشعبية، بالإضافة إلى تحقيقه عنصر الاختلاف والتضاد، ساهم في إحداث مفارقة، مما أدى إلى خلق نغمة موسيقية وإيقاع خاص يثير استحسان متلقي المثل ويمنحه نشوة وسروراً عند سماع عبارته. ويساهم السجع أيضاً في خلق المفارقة، كما يتضح في المثل المذكور: مَالِنَارٌ لُفَمَكُ يَا عَمَارُ، حيث يظهر السجع بين الكلمتين (النار وعمار) من خلال تكرار حرف الراء. يشير هذا إلى انتقال الطعام الساخن من نار الطهي إلى الفم، مما يؤدي حتماً إلى حرقه. يُستخدم هذا المثل للدلالة على انتقال الأمور من نقيض إلى نقيض، مما يسبب خللاً نتيجة عدم الاستعداد لاستقبال هذا النقيض.

يوجد مثل آخر وهو: "اللِّي قَتَلُو قُتِلَ الْفَارُ وَاللِّي خَلَّاهُ خَلَّاهُ الْعَارُ، إن تكرار حرف الراء أضفى طابعاً موسيقياً، كما أن دلالة المثل تشير إلى وجود أمرين كلاهما مرّ، إذ إنهما في الأساس أمران متناقضان. ، فتكرار حرف الراء أحدث بدوره وقعاً موسيقياً، كما شكلت دلالة المثل وجود أمرين أحلاهما مرّ، لأنهما في الأساس أمرين متناقضين.

يتجلى السجع في المثل التالي: **لِبْلَادْ مَا حَدُّهَا تَكْبُرْ تَخْسُرْ**، من خلال تكرار حرف الراء في كلمتي (تكبُرْ وتخسرْ). يعتبر هذا المثل مجالاً خصباً للمفارقات، إذ كيف يمكن التسليم بأن البلاد، عند زيادة كثافتها السكانية وتوسعها، يسوء حالها ويفسد العيش فيها؟ عند الاطلاع على "طبيعة القصور الصغيرة بمنطقة توات، حيث يتعارف أهلها ويتضامنون في جميع الأوقات، وتشيع بينهم الأخلاق الحسنة التي تفرضها العلاقات الاجتماعية، نجد أنه كلما كبرت هذه القرى، دخلها غرباء وسكنوها، مما يؤدي إلى تعدد الطباق الدخيلة على المجتمع، وبالتالي تفسد البلاد.. فالأمثال التي تحتوي على مفارقة في ظاهرها، تستند كما رأينا في الكثير من الأحيان على فهم طبيعة المجتمع الذي صدر عنه ذلك المثل، حتى يكشف ويتجلى لنا ذلك التناقض الموجود على المستوى التركيبي.

7. خاتمة:

من خلال دراستنا السابقة لتلك الأمثال الشعبية يمكننا القول إن هذه الأخيرة تعد بؤرة للمفارقات، على اعتبار أنها تنبع من صميم المجتمع، الذي يمثل بدوره مجالاً للتناقضات واختلاف سلوكيات الأفراد، فأى مبدع الأمثال الشعبية إلا أن يشارك الأجيال في نقل تجاربه، مستخدماً في ذلك أسلوب المفارقة على اعتبار أنها تساعد على خلق التوازن في الحياة عبر عملية الإصلاح التي تهدف إليها في أغلب الأحيان. فالمفارقة تقوم على دعائم بلاغية من خلال المفارقة البيانية بما تحمله من عناصر توّهلها إلى بناء المثل بطريقة أكثر احترافية وأكثر وجاهة للتعبير بها في مختلف المواقف والأحداث، الأمر الذي يساعد على ديمومة هذا الأخير ويجعله أكثر تناقلاً بين الألسن.

فالاستعارة تؤدي دوراً مهماً في الأمثال، لأنها تسعى دائماً إلى استدعاء فضاءات مجازية، فتولد بذلك دلالات أكثر، الأمر الذي يهيئها لأن تكون صالحة لكل وقت وفي كل زمان، كما يتأكد دورها أيضاً من خلال عملية اختزال تلك التجربة الإنسانية في تعبير مجازي، يضمن لها الانتقال السليم إلى ذهن المتلقي ومن ثم التأثير فيه بمظهرها التصويري الذي يشخص الموقف ويجسده.

بالإضافة إلى الاستعارة، هناك الكناية التي تعتبر عمود الأمثال الشعبية، لأنها تتبنى ذلك الاستخدام المروغ في الكلام، وتسعى دائماً إلى التلميح واستخدام الرموز والإشارات، بدلاً من التصريح، تماشياً مع الحكمة المشهورة: خير الكلام ما قلّ ودلّ، فالكلام القليل المعبر يكون له تأثير السحر في ذهن المتلقي، عكس الكلام الكثير الذي يستنفذ طاقة قائله ولا يبلغ معه الهدف المنشود.

كما لا ننسى دور المفارقة البديعية، بما تحمله من عنصري (الطباق والمقابلة)، اللذين يشكلان مخزن التضاد، ويعتبران الدعامة الأساسية في إحداث المفارقة اللفظية، فهما يسهمان في بناء الأمثال وتلاحمها عبر

تمظهرهما في نسق الخطاب المثلي، الذي يحيل بدوره على سلوكات سلبية تجعل المرء يبتعد عنها ويتفادها، في مقابل إثارة لسلوكات أخرى إيجابية تشجع الفرد على التحلي بها وتبنيها.

أما عنصرا (الجناس والسجع)، فيحملان هما أيضاً من المقومات الصوتية والإيقاعية ما يؤهلها لبناء المفارقة وتغذيتها، لكي تؤثر بدورها في المتلقي وتبعث فيه عنصر اللذة والمتعة حال سماعه تلك الأمثال الشعبية. وتزداد أهميتهما من حيث أنهما يحققان الانسجام النصي مضافاً إلى الانسجام الإيقاعي، بحيث ينهار هذا المظهر كله بزوالهما من نص المثل. وبصورة لا يتبدى فيها السجع والجناس حلية لفظية بقدر ما أنهما وسيلة لخدمة المعنى وإشاعة الترابط والتجانس بين مكونات الخطاب.

8. قائمة المراجع:

1. الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، مادة (مَثَل).
2. سرقة عاشور، 2017، أمثال شعبية بمنطقة "توات"، دار ضحى، الجلفة/الجزائر.
3. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ج: 01، المكتبة الإسلامية/تركيا، مادة (فَرَقَ).
4. معن بن أوس المزني، صنعة: نوري حمودي القيسي، حاتم صالح الضامن، دار الجاحظ/بغداد، 1977.
5. الميداني، مجمع الأمثال، مطبعة السنة المحمدية، دمشق، 1955.
6. ابن منظور، لسان العرب، م 11، دار صادر/بيروت، مادة (مَثَل).
7. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار النهضة، مصر/القاهرة.
8. أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تح: دامليل بديع يعقوب، ج: 04، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1994، 1، مادة (فَرَقَ).

1.8 المقالات:

- 1/ سعيد حمزاوي، مارس 2006، مقال "رؤية نقدية لمنطلقات التفكير الأدبي"، مجلة الأثر، ع: 05، ص: 225.
- 2/ سيزا قاسم، فن القص العربي المعاصر، مجلة فصول، ع: 02، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة (1982)، ص: 144.
- 3/ نبيلة إبراهيم، 1987، المفارقة، مجلة فصول، ع: 03-04، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ص: 131.